بين يدي سيرة المصطفى ﷺ

كلما رأيت كتابا جديدا في سيرة المصطفى خاتم الأنبياء والمرسلين، صاحب الخلق العظيم؛ محمد بن عبد الله ﷺ، تواردت على خواطري العديد من الأفكار.. منها - على سبيل المثال-:

- أن سير العظماء وتواريخ القادة وأخبار المصلحين والعلماء والمفكرين والفلاسفة عبر كل الحضارات وعلى مر التاريخ تُكتب -هذه السير- وتختم، ولا يعود فيها مجال للمزيد أو الجديد.

لكن سيرة رسول الله ﷺ، قد كانت ولا تزال وستظل ميدانا مفتوحا للتأليف والإبداع الذي يكتشف في هذه السيرة العطرة المزيد والجديد.. حتى لكأنها نبع متجدد وكتاب مفتوح يكتشف فيه العقل المبدع ما لم يكتشفه الأسلاف.. وذلك بقدر ما يتحلى هذا العقل بالوعي والإخلاص والحب والولاء.

حدث ذلك على مرّ تاريخ الإسلام، في الإطار الإسلامي، ومن قِبل نفر من غير المسلمين. فرغم الكم الهائل من الكتب والمجلدات التي كتبت في هذه السيرة العطرة، كانت ولا تزال معطاءة للمزيد من الجديد.

إذن، فنحن أمام فرادة و تميز وامتياز، اختصت بها سيرة الرسول ﷺ، وهي فرادة تحتاج إلى تفسير وتعليل.

- كذلك، وجدنا ونجد في كل تواريخ العظماء والقادة والعباقرة والمصلحين تناقصَ أتباعهم ومريديهم وعشاقهم ومحبيهم مع توالي السنين والقرون، بمن في ذلك الرواد الذين تكونت من حول دعواتهم ومبادئهم وسيرهم ديانات وضعية. فأتباع "ماني" (٢١٥-٢٧٦م) وأتباع "زرادشت" (٥٨٣ ق.م) يقتربون الآن من الزوال. وأتباع "بوذا" (٥٦٦-٤٨٦ ق.م) هم الآن أقل بكثير جدّاً مما كانوا عليه في سالف الأزمان.

بل إن هذا القانون قد سرى حتى على أتباع الرسل الذين سبقوا رسولنا ﷺ، على درب

النبوات والرسالات. فأتباع موسى عليه السلام -من اليهود- لا يتجاوزون خمسة عشر مليونا، أبعدت العلمانية أغلبهم عن الروح الديني الذي جاء به كليم الله، ولم يبق لهم من اليهودية إلا العصبية والعنصرية التي لا علاقة لها بما جاء به موسى عليه السلام.

وكذلك الحال مع أتباع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. فالشرق الذي ظل قلب العالم المسيحي لعدة قرون، قد غدا منذ قرون طويلة قلب العالم الإسلامي. وأوربا التي غدت لقرون عديدة قلب العالم المسيحي، لا يؤمن فيها اليوم بوجود إله سوى أربعة عشر بالمئة من السكان، ولا يذهب إلى كنائسها التي خانت كثير منها نصرانيتها سوى عشر بالمئة من الأوروبيين.

أما الإسلام؛ وأحباب وأتباع رسول الله ﷺ، الذين يحبونه حتى يحبهم الله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(آل عمران:٣١)، والذين يطيعون الرسول كي تتحقق طاعتهم لله سبحانه وتعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء:٨٠)، فإنهم الاستثناء الوحيد -عبر التاريخ والديانات- من هذه الظاهرة التي مثلت قانوناً لا يتخلف إلا في عالم نبينا ورسولنا عليه الصلاة والسلام. فأتباعه وعشاقه ومريدوه الذين يتخذونه الأسوة الحسنة والمثال المتسامي هم وحدهم الذين يتزايدون ويتكاثرون، وتباهي بهم الدنيا، كما سيباهي بهم رسولنا يوم القيامة، إن شاء الله!.. وتلك هي الأخرى، ظاهرة فريدة، تحتاج إلى تفسير وتعليل.

- وعبر تاريخ دعوات الإصلاح، ومشاريع النهوض، وفلسفات التقدم، والمبادئ التي تركت بصماتها في مسيرة التحرير والتغيير للأمم والشعوب، كان وهج هذه الدعوات والفلسفات والمبادئ يقلّ شيئاً فشيئاً، كلما تغير الواقع المعيش، وتبدلت العادات والتقاليد والأعراف.. بل لقد أصاب هذا التراجع حتى الكتب السماوية التي جاءت بها النبوات السابقة، عندما استُحفظ عليها الناس فلم يحفظوها، فنسوا حظّا مما ذكروا به، وبدلوا الكلم من بعد مواضعه، وكتبوا بأيديهم ما كذبوا، فقالوا هو من عند الله!..

وهنا -أيضا- نجد أن دعوة رسولنا ﷺ، بدءً من الوحي المعصوم والمحفوظ حفظاً إلهيّاً إلى السنة المطهرة التي مثلت البيان النبوى للبلاغ القرآني.. نجد هذه الدعوة استثناء فريدا من هذا القانون الذي سرى على سائر الدعوات والفلسفات والمبادئ والنظريات والكتب. فهذه الدعوة -في وحيها الإلهي- كتاب مفتوح لا تنقضي عجائبه، فيه نبأ الأولين وخبر الآخرين. والكليات والإشارات والجوامع التي تتكشف وتتجلى -بمرور الأزمان وارتقاء

العقول وتقدم العلوم- آياتٍ ومعارفَ وسنناً كونية واجتماعية مبثوثةً فى الأنفس والآفاق، حتى لكأنها المعجزات المتواليات تترى من هذا الإعجاز الإلهي والنبوي الذي جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام.. تُديم التحدي للجاحدين، وتضاعف الطمأنينة لقلوب المؤمنين. وهذا التوهج المتزايد والمتعاظم -هو الآخر- ظاهرة فريدة تحتاج إلى تفسير وتعليل.

فما هو تفسير هذه الظاهرة الفريدة التي تميزت وامتازت بها سيرة الرسول الكريم ﷺ، ودعوته على سائر السير والدعوات؟

إن الإجابة المفصَّلة على هذا السؤال تحتاج -ولا شك- إلى مجال أوسع بكثير من هذا الحيز الحاكم الذي نحن فيه. لكننا نستطيع -في هذا المقام- أن نوجز إشارات إلى عدد من المعالم التي تمثل رؤوس أقلام للإجابة على هذا السؤال، وذلك من مثل:

- أن سير العظماء والقادة والمصلحين تكتب وتختم وتكتمل فصولها وتتم وقائعها، لأنها سير بشر، يعيشون في نطاق عالم الشهادة لا يتعدونه، ذلك العالم الذي تدرك العقولُ الإنسانية كنه حقائقه، ومآلات دعوات الإصلاح البشرية والفلسفات العقلية التي أبدعها وطبقها هؤلاء القادة والعظماء؛ بينما سيرة رسولنا ﷺ -وهو بشر حرص القرآن الكريم على التأكيد على بشريته- هي سيرة "بشر - يوحى إليه".

ففي سيرته ودعوته وسنته وشمائله ارتبطت البشرية بالنبوة، والعادة بالإعجاز الخارق للعادة، والاجتهاد بالعصمة، والأرض بالسماء، والنسبي بالمطلق، والعلم الجزئي بالعلم المحيط، وعالم الشهادة بعالم الغيب، والزمني بالخلود، فغدتْ سيرةُ البشرِ الرسول -هنا- حاملة من المطلق الخالد ما يجعلها دائمة العطاء، ومستعصية على الختم والانتهاء وطي الصفحات وجفاف الأقلام.

- كذلك، تميزت سيرة رسولنا الكريم ﷺ، حتى على سير الخالين من الرسل والأنبياء، عليهم جميعاً صلوات الله وتسليماته، بأنها سيرة النبوة الخاتمة والرسالة الخالدة، فاستمر عطاؤها، ومن ثم ظل كتابها مفتوحا دائما وأبداً لاكتشاف السنن والقوانين والدروس والعبر والعظات؛ بينما كانت رسالات الخالين من الرسل، وكذلك معجزاتهم، خاصة بقوم بعينهم، وزمن بعينه، وحجة على من شهد تلك المعجزات المادية التي أدهشت العقول.

على حين كانت معجزة القرآن الكريم مستنفرة للعقل دائما وأبدًا، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.. وكانت السنة النبوية المطهرة بيانا نبويا لهذا الإعجاز القرآني الخالد، الأمر

الذي جعلها -مع السيرة النبوية- كتابا مفتوحا على ألوان لا تحصر من الإعجاز العلمي والقيمي والإصلاحي، الصانع للإنسان السوي وللمجتمع السوي، عبر الزمان والمكان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. إنها سيرة الرسول الخاتم، صاحب الشريعة الخالدة.. إمام أولي العزم من الرسل.. والمتفرد بالرسالة العالمية.. وبإقامة الدولة وصنع الحضارة، مع تبليغ الدعوة الدينية.

فدينه قد تفرد بتأسيس الدولة، وتوحيد الأمة، وتنظيم الاجتماع، والتحريض على بناء الحضارة. ودولته قد غدت الحارس للدين، الذي تسوس به اجتماعها المدني.. كما ضمن خلودُ هذا الدين لحضارته خلوداً تفردت به عن سائر الحضارات.

- ولهذا الكمال والاكتمال الجامع -في الدعوة الإسلامية- بين الدين والدنيا والأرض والسماء والاجتهاد والعصمة، والدين والدولة، والدنيا والآخرة، والفرد والأمة، والتكاليف الفردية والاجتماعية، والعلوم الشرعية والمدنية، والعقل والنقل والتجربة والوجدان، والتصديق لما سبق من الكتب والرسالات مع الهيمنة والتصحيح والإكمال لهذا الذي سبق من الكتب والرسالات... لهذا الكمال والاكتمال في الدعوة الإسلامية، فلقد تميزت سيرة رسول هذه الدعوة، عليه الصلاة والسلام، التي هي سيرة "البشر - الرسول"، بأنها سيرة الإنسان الكامل، بكل ما في هذا الكمال والاكتمال الإنساني من أبعاد تجعل ختم الكتابة لسيرته هذه أمراً عصيّاً على التحقيق..

فهو الذي وجده ربه فقيرا فأغناه.. ومع ذلك كان انحيازه إلى بساطة عيش الفقراء وحياة المساكين طوعا وشوقا واختيارا.

وهو الذي تحمّل-صابرا ومصابرا- كل إيذاءات الشرك والنفاق، ومع ذلك بلغت به الرحمة والرأفة إلى الحد الذى جعله رؤوفاً رحيماً بالذين آذوه وآذوا صحابته، فأطلق لهم عنان الحرية فى لحظات انتصاره الأكبر.. ودعا لهم بالهداية في لحظات الذروة من الإيذاء.. رجاء أن يخرج الله من أصلاب الغلظة من يرق قلبه لنعمة الإيمان بالإسلام، فيهتدي بسراجه المنير.

ومع أنه قد حمل هموم إقامة الدين، وتأسيس الدولة، وصلاح الدنيا، وعبء تغيير العالم.. فلقد تكاملت فيه كل صفات الإنسان الكامل؛ فكان بشوشا يمزح ولا يقول إلا حقا، ويسامر أصحابه، ويداعب زواره، ويخدم أهله، ويقدم اليسر على العسر، يحب أن تؤتى رخص الدين كما يحب أن تؤتى عزائمه، ويحرص على طلب الجمال فى محيطه، ليستمتع به ويعلم الناس

الاستمتاع بنعمته، حتى ليجعلُ من صلاة الاستسقاء مناسبة يدعو الله فيها: "اللّهم أنزل علينا في أرضنا زينتها"، ومن دعاء السفر مناسبة يستعيذ فيها بالله من كآبة المنظر، ومن مسجد النبوة مسرحا للفنون ومتعة الترفيه الحلال.. ومن الأعياد والأعراس مناسبات للزينة والفرحة واللهو الحلال الذي يجدد الملكات والطاقات عند الإنسان.

حتى ليروى أنه "لم يكن ريح أطيب من ريحه، وكأن عرقه اللؤلؤة!.."

وهو -مع ذلك- الذى يقف بين يدي مولاه -في الصلاة- حتى تتورم قدماه.. ويجعل من الرفق بالإنسان والحيوان والطبيعة مناسك يتقرب بها الإنسان إلى الله.

وهو الذي يغضب لما يغضب الله.. وإذا اضطر إلى الجهاد القتالي-دفاعا عن الدين والوطن- كان، إذا حمي الوطيس واحمرت الحدق، أقرب المقاتلين إلى الأعداء، حتى ليحتمي به الفرسان فى ساحة القتال.

فهو الإنسان الكامل، والرسول الخاتم، والبشر الذي يوحى إليه، والمجتهد المعصوم الذي اتصلت -في سيرته- الأرض بالسماء، وامتزج فيها النسبي بالإطلاق والخلود.. فهو ﷺ، روح في جسد، ككل البشر، يأكل الطعام ويمشى في الأسواق.. لكن روحه بعبارة الإمام محمد عبده (١٢٦٥-١٣٢٣هـ /١٨٤٩-١٩٠٥م) "ممدودة من الجلال الإلهي بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليه سطوة روحانية. وهو بمنزلة العقل من الإنسان. إنه إمام أولى العزم من الرسل الذين ميزهم الله بالفطرة السليمة، وبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه، والأمانة على مكنون سره، مما لو انكشف لغيرهم لفاضت له نفسه، أو ذهبت بعقله جلالته وعظمته، فيشرفون على الغيب بإذنه، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه، ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمَين، نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهم في الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها، وهم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها".

نعم، لهذا التميز والامتياز الذي جعل من الرسول ﷺ "نهاية عالم الشهادة وبداية عالم الغيب.. وعقل الإنسانية والبشرية"، ولتميز رسالته بالإتمام والإكمال للدين والأخلاق، وبالعالمية، وبالخلود، وبالدولة والاجتماع والحضارة مع الدين..

لكل ذلك تميزت سيرته ﷺ، عن كل سير القادة والمصلحين والعظماء والانبياء والمرسلين.. بل وشاء الله أن تكون سيرته وتاريخ دعوته هو التاريخ الوحيد المعروف والموثق دون سير الأنبياء وتواريخ الرسالات التي لم يبق من سيرها إلا ما جاء في القرآن

الكريم. فكانت سيرته ﷺ، الخبر الصادق حتى في سير الخالين من الرسل، عليهم جميعا أزكى الصلوات والتسليمات.

بهذه الأفكار والخواطر أستقبل -دائما وأبدًا- كل إبداع جديد في سيرة المصطفى ﷺ. وبها أقدم بين يدي هذه الطبعة الجديدة لهذا العمل الفريد في سيرة المصطفى ﷺ، **النـــور الخالد.. ومفخرة الإنسانية**، ذلك الذي أبدعه العالم الجليل **محمد فتح الله كولن**. لقد أبدعه بقلب المحب وعقل المحقق، فجاء على هذا النحو الجليل والجميل، الذي يقود القلوب والعقول إلى عشق سيد الخلق، والاقتداء بصاحب الخلق العظيم.

أمدَّ الله عالمنا الجليل بمدد من عنده، ونفع به وبعلمه، وجعل هذا العمل الجليل في ميزان حسناته يوم الدين.. إنه ﷻ أفضل مسؤول وأكرم مجيب.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.. وأزكى صلوات الله وتسليماته على المبعوث رحمة للعالمين.

الدكتور **محمد عمارة**
أول ذي القعدة ١٤٢٤هـ
٢٥ ديسمبر ٢٠٠٣ م
القـــاهـــرة

obeikandl.com

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

لم تكن البعثة المحمدية أمراً بسيطاً أو عاديًّا مرت عبر أبواب الزمن، ثم اختفت بين هرج الحياة ولَغَطها... وحوادث التاريخ وحروبه... وزحام المبادئ وصُراخها... بل كانت أمراً جللاً رنّ تحت قبة السماء... وحدثاً مدوّياً في سمع الزمان... فكأن الكون كله كان يولد من جديد... ويتلبس بالوجود ثانية... ويظهر من ظلام العدم مرة أخرى... ويفتح عينيه من إغماءة الفناء... كانت ميلاداً معنويًّا رائعاً شحنت فيه كل بسمة من بسمات الجمال... وكل دفقة من دفقات الخير... وكل نبضة من نبضات الحق... لقد أصبحت الأرض بعد هذه البعثة زهرة الكون... ولؤلؤة صدفته... ونور جبينه... وبؤبؤ عينه وبسمة شفتيه... كانت هذه البعثة اللحظة التي انتظرها الأزل ليناولها إلى الأبد... فإن كان الكون المنظور كله صورة واحدة فقط من صور الوجود... وانعكاساً لجانب واحد من جوانب الحقيقة المطلقة... وعالماً واحداً من عوالم الخلق، فإن البعثة المحمدية التي حملت الحق المطلق لم تكن بهذا المقياس أمراً عالميّاً فقط... أو أرضيًّا فقط... أو كونيّاً فقط، بل طوت بين جناحيها الأرض والكون المنظور والعالم المشهود وغير المشهود. ذلك لأننا إن أدركنا أن البعثة المحمدية كانت تعكس الحقيقة الإلهية الأزلية وتنطق بها وتحملها، وقلنا إن شموليتها وسعتها تتجاوز الأرض والكون فإننا لا نقول شططاً.

لذا، ألا تعجب من المسلم الغافل الذي يترك عوالم الشموس والخلود هذه ليلهث وراء أفكار أرضية محدودة المحتوى وقصيرة العمر... محرومة من العمق والأصالة... تسقط كأوراق الخريف في أول هبة ريح... غافلة عن الحقيقة الإلهية العظمى... مقطوعة الصلة عن روح الإنسان وقلبه... وعن أشواقه ووجده... تنتهي مع الإنسان على أبواب القبر... ولا ترافقه في رحلته الأبدية، ثم تثقل كاهله يوم القيامة.

ولكن البشائر تترى الآن... لقد بدأت أيام الغفلة بالانتهاء... وبدأ مخاض ميلاد جديد

حافل بالألم... مخاض ميلاد المسلم مرة أخرى... شجرة الإيمان بدأت تهتز... والنُّسْغُ يصعد ويتحرك في أغصانها وعروقها... والأوراق الصفراء بدأت تخضرّ... إذن، فالجذور كانت حية... لقد عاد الغريب إلى دياره بعد طول الغربة واللوعة والفراق... والشمس التي غربت تحت ظلال وألوان حمراء دامية وباكية بدأت تشرق من جديد... وترتفع أمام الأنظار في الأفق رويداً رويداً... تهب النور والفرحة والأمل من جديد...

في هذه الصحوة الإسلامية المباركة كم يحتاج المسلم أن يعرف نبيه ويتعلم منه ويجدد إيمانه ويلهب مشاعره، ويعرف بعض أسرار هذه البعثة المحمدية ومداها وشمولها وعمقها والطريق التي اختطّتها وحكمة يد القدرة فيها... لذا، فإن هذا الكتاب وأمثاله من الكتب التي لا تتناول السيرة كسرد أحداث وذكر تواريخ، بل تتناولها من ناحية فقهها وحكمتها ومعانيها وأسرارها تبقى من أهم الكتب في تغذية هذه الصحوة وإنارة الطريق أمامها والتحذير من مفاوزها ومخاطرها. لذا، فهو كتاب كل مسلم وضع قدمه ليسير -على بركة الله- في هذه الطريق، ويتوجه إلى رسوله ومرشده وقائده وزعيمه ﷺ.

وبالنسبة لهذا الكتاب فهو مجموعة من سلسلة الخطب والمحاضرات التي خصصها المؤلف لشرح فقه السيرة، ودلائل النبوة، وشخصية الرسول ﷺ. وكانت الظروف آنذاك تستوجب هذه الفعالية لتذكير الناس برسولهم، وللوقوف أمام فتنة الهجوم على السنة التي ذرت بقرنها في تلك الفترة (أي في الفترة من ١٩٨٩-١٩٩٠). ونظراً لأهمية هذا الموضوع وحاجة المجتمع التركي الشديد لمثل هذا الكتاب قام طلابه بجمع هذه الخطب والمحاضرات، وعرضوها على المؤلف الذي قام بالتصحيح والتنقيح، ثم قاموا باستخراج المصادر والهوامش، وتمت الطبعة الأولى للكتاب سنة ١٩٩٢، والطبعة الثانية سنة ١٩٩٢... والطبعة السادسة سنة ١٩٩٧ وكان مجموع الطبعات يتجاوز خمسمائة ألف نسخة.

والحمد لله أولاً وآخراً.

اورخان محمد علي

إسطنبول – ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م

obeikandl.com

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إن تسليط الأضواء على شخصية الرسول محمد ﷺ السامية، وشرحها وبيانها، ثم تقديمها كمنقذ للبشرية، وكإكسير للمشاكل المستعصية على الحل، وللأمراض غير القابلة للشفاء، وإظهار هذه الشخصية السامقة وسيرتها بما هي أهل له كان رغبة ملحة لديّ -كما هي عند كثيرين- وهاجساً من هواجس فكري ومشاعري، وموضوعاً مهمًّا من المواضيع التي لا سبيل للوقوف أمام سحرها وجاذبيتها أو الفكاك منها.

إنه ﷺ فخر للبشرية جمعاء... فمنذ أربعة عشر قرناً يقف وراءه أكبر الفلاسفة وأعظم المفكرين وأشهر العباقرة وأذكى رجال العلم الذين زينوا سماء الفكر عندنا.. يقفون وراءه خاشعين قد عقدوا أيديهم أمامهم وهم يخاطبونه ويقولون: "أنت الإنسان الذي نفخر بانتسابنا إليه."

ويكفي للاستدلال على مدى عظمته بأنه على الرغم من كل عوامل الهدم والنخر التي أصابت عصرنا، فنحن لا نزال نسمع من فوق المآذن أصداء نداء "أشهد أن محمداً رسول الله"، ولا نزال نشاهد كيف أن الروح المحمدية تفتح في كل مكان آفاق السمو نحو الأعالي، فيغمرنا الوجد والشوق خمس مرات كل يوم في عالم الروح. ونستطيع أن نشير إلى دليل عظمته فنقول بأنه على الرغم من كل هذا العمل المتواصل لأعداء الله في الداخل والخارج في الإفساد والإضلال، فإننا نرى حتى في هذه الأيام كيف أن العديد من الشباب في عمر الزهور -رغم عدم إحاطتهم التامة بالحقيقة الأحمدية التي ليس من اليسير معرفة مفاهيمها الدقيقة والصعبة- يتراكضون نحوه، ويحومون حوله مثلما تحوم الفراشات حول النور. وهذا أمر فريد لا نجد له مثيلاً في العالم؛ فالزمن لم يستطع أن يمحو من قلوبنا ومن صدورنا أي حقيقة من الحقائق العائدة له ﷺ، ولا أن يبليها... أجل، فهي حقائق غضة ندية

ونضرة على الدوام. وكما قلت لإخواني مراراً إنني عندما أذهب إلى المدينة المنورة أجد رائحته العطرة محيطة بي إلى درجة تشعرني وكأنني سأقابله بعد خطوة واحدة، وكأن صوته الشجي الذي يحيي القلوب يقول لي: "أهلاً وسهلاً.. ومرحباً."

أجل، إنه حي ونضر في صدورنا إلى هذه الدرجة، فكلما تقادم الزمن ازداد نضارة وطراوة وحيوية في قلوبنا.

إن الزمن يتقادم ويشيخ، وإن بعض المبادئ والأفكار تتعفن وتتهاوى، أما منزلة الرسول محمد ﷺ فستبقى متفتحة في الصدور كأكمام الورود العبقة أبد الدهر، وستبقى نضرة في القلوب على الدوام.

وأنا أرى لو أننا اهتممنا واعتنينا بتقديمه والاهتمام به مثلما فعل الآخرون في تقديم شخصياتهم، ولو أن المؤسسات العلمية والمؤسسات الأخرى المتعلقة بشؤون الحياة نذرت نفسها للاهتمام به وشرحه وتوضيحه وبيان جوانب شخصيته، لما تَربّع على عرش القلوب غيره، ولما تخلل في الضلوع والصدور سواه.

ولكن مع كل هذا، وعلى الرغم من كل شيء يهرع الكل من شرق الدنيا وغربها حاملين معهم دلاءهم، مسرعين نحو نبعه الصافي الفياض.. نحو المنهل العذب المورود، يحدوهم الوجد والهيام ليبلغوا قبته.. قبة الإنسان الذي يضع التيجان على هامات الشموس.

أجل، إننا نشاهد في جميع أنحاء العالم -ولاسيما في أمريكا وإنكلترة وفرنسا وألمانيا- انبعاثاً جديداً لمنهجه ﷺ، وحركة دائبة من قبل المسلمين لشرح وبيان مبادئه، ونسج نسيجه المزخرف ذي النقوش البديعة والألوان الجميلة المتناسقة، فكأنهم يعيشون روح عهد النبوة من جديد. ونرى الأمر نفسه في العالم الإسلامي.. فقبل قرن أو قرنين كان هناك أناس يشعرون بارتباطهم مع المسلمين عن طيب قلب دون تدقيق أو تمحيص، أما الآن فهناك مثقفون يعرفون لماذا يؤمنون بالإسلام، ولماذا يقتدون بالرسول محمد ﷺ؛ لأنهم بدأوا بتحليل المسائل الإسلامية تحليلاً علميًّا دقيقاً. فحتى الآن استغل أعداؤه الجامعات والكليات والمدارس والطبقة المثقفة، وخدعوها بشعارات براقة، واستخدموا المؤسسات الوطنية لحساب الكفر والضلال، ولكن كل هذه الأمور آذنت بالانتهاء، وبدأت تتفتت وتذوب وتضمحل مثل جبال الثلج الطافية على المياه، وبدأت الإنسانية تتجه نحو رسول الله ﷺ وتقبل عليه.

أما الذين غيّروا مذاهبهم وأفكارهم مرات ومرات منذ سنوات عديدة، وانتقلوا من هذا المبدأ إلى ذاك، ومن هذه الأيدولوجية إلى تلك، فقد رأى هؤلاء كيف باءت محاولاتهم هذه بالفشل

والخذلان، ورأوا أن المدرسة الوحيدة التي لم يقربها الخذلان هي مدرسته ﷺ، وأن سبيله وطريقه هو الصراط المستقيم، فاتجهوا إليه وأقبلوا عليه.. هكذا فعل "موريس بوكاي"، وهكذا تصرف "روجه غارودي"، وغيرهم وغيرهم.

ولكن هل استطعنا أن نفهم الرسول ﷺ سلطان القلوب المتربع على عرش الأفئدة حق الفهم، وندركه حق الإدراك؟

ولكن ما بالي أشير إليكم، أو أعنيكم؟ ما بالي أنا؟ هل استطعت أن أشرح جوانب عظمته كما يجب، وأكشف معالم شخصيته كما ينبغي؟ أنا الذي أضع جبهتي للصلاة منذ الخامسة من عمري، وأنا الذي أدّعي أنني وضعت الطوق حول عنقي لكي أكون "قطميرا"[1] له. هل استطعت أن أشعركم بما يجيش في صدري من عظمة النبي ﷺ كما يليق بجوانب هذه العظمة؟ إنني أسائل نفسي وأسائل جميع الذين يتصدون للتبليغ والدعوة: هل استطعنا أن نشرح لإنسان هذا القرن حبه.. حب سيد السادات حبّاً تجيش به القلوب؟ هل استطعنا أن نبهر القلوب والأرواح بهذه العظمة، عظمته ﷺ؟

كلا! فلو عرفته البشرية حق المعرفة، وفهمته حق الفهم لهامت به حبّاً ووجداً.. ولو تغشت الأرواحَ ذكراه الجميلة، لثارت أشواقها وفاضت عيونها بالدموع، ولاقشعرّ جلدها وهي تخطو إلى عالمه.. عالم النبوة الطاهر، ولألقت بنفسها للريح كي تشعل جذوة قلوبها المتقدة بحبه بعدما صارت رماداً، فتذروها الريح نحوه ﷺ.

ولأن الإنسان يحب بمقياس إدراكه وفهمه، ولأنه عدو ما يجهل.. فإننا نرى أن البؤرة التي تتجمع حولها محاولات أعدائنا على الدوام ومؤامراتهم، هي بذل الجهود لإقصائه ﷺ عن القلوب، وإهمال ذكره، وتنشئة الأجيال الجديدة على عداوته وبغضه، وتوجيه هذه الأجيال وتربيتها وتعليمها في هذا الاتجاه.

ولكن انظروا إلى هذا التجلي الإلهي.. فجميع العقبات والسدود والموانع التي وضعها خصومنا لكي يمنعوا حبه ﷺ من القلوب، ويزيلوا ذكره من العقول، قد انهارت جميعها وتهدمت وأزيلت وتجاوزتها الإنسانية، وبدأ الشباب يهرع إليه بكل فرح وحبور، كفرح ظمآن في صحراء موحشة وجد بالقرب منه ماء سلسبيلاً بارداً بعد أن قاسى آلام العطش والظمأ أياماً عديدة. ولا شك أن قلباً رحيماً مثل قلبه ﷺ لا يَردّ أبداً من يقبل عليه بكل هذا الشوق وبكل هذا الوجد والعشق، بل يحتضنه بكل حنان وشفقة، ويضمه إلى صدره.

---

[1] قطمير: هو اسم كلب أهل الكهف. (المترجم)

لا أدري إن كنتم انتبهتم إلى الناس الذين يملؤون المساجد على سعتها أيام الجمع؟ فلو دققتم النظر لرأيتم أن معظمهم من الشباب.

فيا ترى ما الذي يدفع هؤلاء الشباب في برد الشتاء القارس، وفي المطر والثلج إلى الجوامع وإلى الوضوء وأسنانهم تصطكّ من البرد؟ من يدفع هؤلاء على الرغم من محاولة أرباب الضلالة والطغيان جذبهم نحوهم بقوة لا تقاوم؟ سأجيبكم أنا: إنها قوة الجاذبية القدسية للرسول محمد ﷺ.

وسواء استطاعت عقولنا أن تفهم وتستوعب هذه الحقيقة، أو عجزت عن ذلك، فإن القلوب دائما ترف حول هذه الشمعة وتطوف حول هذه الشمس. وفي المستقبل القريب سوف يتجرع مرارة الألم ولوعة الندم من فاتته المسارعة إلى رحابه، والتوجه إلى جنابه ﷺ. ومن لم يقف في صفه، وبقي متشرداً، بائساً، وحيداً، منفرداً مثل ذبابة الشتاء... سيتأوه من الألم، وسيعض أنامله حسرة وندما قائلا: "لِم لم أتوجه إليه وأحُمْ حوله كالفَراش؟" وحينذاك قد يكون الوقت متأخراً ومنتهياً بالنسبة للكثيرين منهم.

سيهرع العالم والدنيا إليه، وستدقق المحافل العلمية في سيرته، وستسير وراءه كل نفس متفتحة على عالم الفكر، وسيتحول العديد من أعدائه إلى أخلص محبّيه وأتباعه، ويهرع إليه ليلوذ به. بل إن منزلة الرسول الكريم بدأت ترجح في كفة ميزان الطرف الخصم حتى بمقاييسه وبموازينه، وبدأت الأوساط المعادية له تقر وتعترف بعظمته. وقد ورد في الحديث بأن الرسول ﷺ وزن بعشرة من أمته فرجَحهم، ثم وزن بمائة فوَزَنهم، ثم وزن بألف من أمته فوزنهم، فقال الملَك لصاحبه: "دعه عنك فلو وزنتَه بأمته لوزنها."[١] وجاء هذا المعنى في حديث آخر كذلك.[٢]

أجل، فلو وُضع الصحابة والتابعون وتابعو التابعين وأكبر الناس وأعلمهم حتى يوم القيامة، وجميع المتصوفة والزهاد الذين فتحوا القلوب ونفذوا إليها، وكل الأولياء والأصفياء، وكل الأبرار والمقربين في كفة، ووضع محبوب قلوبنا وسلطانها، وضياء عيوننا ونورها في كفة لرجحهم جميعا، ذلك لأنه هو سبب الوجود وحكمته.

فهو علة الكون والكائنات. وهناك قول مشهور يتردد على ألسنة الكثير من الناس: «لولاك لولاك ما خلقتُ الأفلاك.»[٣] أجل، فمن العبث كتابة كتاب لا يمكن فهم معناه، والله ﷻ منزه

---

[١] الدارمي، المقدمة، ٣؛ المسند للإمام أحمد، ١٨٤/٤؛ الشفاء للقاضي عياض، ١٧٣/١.

[٢] المسند للإمام أحمد، ٧٦/٢.

[٣] كشف الخفاء للعجلوني، ١٦٤/٢.

عن العبث، لذا فهناك حاجة إلى مرشد جهوري الصوت مثل سيدنا محمد ﷺ سيد الزمان والمكان لكي يشرح معنى الوجود، ومعنى الكون والكائنات. كذلك هناك حاجة إلى شارح وإلى مبلغ مثله لكي يشرح لهذا الإنسان الذي سخرت له هذه السماء الواسعة والأرض والشمس والقمر والنجوم وكل الوجود.. يشرح له من أين أتى وإلى أين هو كادح وإلى أي شيء هو مرشَّح ؟ أجل، لكي يعلن ويوضح هذا، ويوصل ما وراء أستار الوجود إلى الأرواح. فلو لم يكن موجوداً لما كان للكون ولا للإنسان أي معنى، لأن الرسول محمدا ﷺ هو الإنسان الذي أسبغ المعاني على الأشياء.

هو أقرب وأحب إلينا من كل المحبوبين. ومع أنني أعدّ نفسي أكثر المؤمنين قصوراً وذنباً، إلا أنني لا أملك نفسي من شرح إحدى مشاعري.. وغايتي من هذا الشرح هو لكي أبين: إذا كنت أستطيع أن أحب رسول الله كل هذا الحب، فما بالك بالقلوب والأرواح الواصلة إلى مراتب عُليا في حبها لهذا الرسول الحبيب، وكيف تشتعل هذه القلوب بعشقه ووجده ؟ لذا، أودّ أن يتم تقييم شرح مشاعري من هذه الزاوية، وإلا فإن أدبي كان يمنعني من طرح مشاعري في حضوركم:

عندما مَنّ عليَّ الله ﷻ بزيارة الأراضي المقدسة لكي أغفر وجهي بترابها بدت لي بلدة رسول الله مضيئة ونورانية، إلى درجة أنني ذقت معها سعادة روحية غامرة، وفرحا لا يوصف، بحيث أنني شعرت بأنه -على فرض المستحيل- لو فتحت لي حينذاك أبواب الجنة كلها، ودعيت للدخول إليها.. أجل، لو تم هذا، فصدقوني بأنني كنت سأرفض دخول أي باب من أبواب الجنة، بل كنت أختار وأفضّل البقاء هناك.

والحقيقة أن الجنة أملنا جميعا، ومن الصعب تصور أن هناك مسلماً واحداً لا يرغب في الدخول إليها.. ألا نبتهل لله ﷻ كل صباح وكل مساء في أدعيتنا أن يجيرنا من النار وأن يدخلنا جنته؟ ومع اعترافي بهذا وقبولي له، فإنه لو عرضت عليّ تلك المرتبة العليا، ودُعيت لها، لربما استأذنت ربنا أن يسمح لي بالبقاء في الروضة الطاهرة لرسول الله ﷺ. ولا يذهبن الظن بأحدهم بأنني أرى نفسي لائقاً لتلك المرتبة العليا، بل إنني أردت فقط إظهار مدى حبي لرسول الله ﷺ، وإلا فإنني قضيت حياتي أدعو الله أن ينيلني شرف الخدمة لأصغر صحابي من صحابة رسول الله ﷺ، وكان ابتهالي من الله تعالى أن لا يُبعد فكرنا لحظة واحدة من أمنية تعفير وجوهنا بتراب أرجلهم، وكان الكثير من الأوراد التي يكررها لساني على الدوام تحمل هذه المعاني.

وجاشت المشاعر نفسها عندي في بيت الله، وقد تكون هذه المشاعر مشاعر مشتركة لدينا جميعاً. ثم إن من يحمل هذه المشاعر غير محصور فيَّ وفي أفراد قلائل، فكم وكم من ذائب في عشق رسول الله ﷺ تُعدّ هذه المشاعر بالنسبة له مشاعر بدائية وخشنة.

وما دمنا وصلنا إلى هذا الموضوع من الحديث فإنني أود أن أسوق ذكرى أخرى من ذكرياتي:

كنا في الحج معاً مع السيد "عارف حكمت"، وكان آنذاك نائباً في المجلس الوطني، وكان قد قطع عهداً على نفسه أن يتمرغ في تراب المدينة المنورة حالما يصل إليها.. وما أن وصل إليها حتى ألقى هذا الرجل الفاضل نفسه على التراب، وبدأ يتقلب ويتمرغ في ترابها. فكلما تذكرت هذه الحادثة امتلأت عيوني بالدموع.

إن رسول الله نبي، ولكنه نبي بَشّر به جميع الأنبياء السابقين. فقد أخذ الله ميثاق النبيين جميعاً لَيؤمنُنّ به ولينصرنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران:٨١).

وقد التزم جميع الأنبياء بهذا العهد الذي قطعوه لله ﷻ وعاشوا لتحقيق هذا العهد، وكان نشاطهم منصبّاً في هذا الاتجاه. وعندما عرج برسول الله ﷺ إلى السماء صلّت أرواح هؤلاء الأنبياء وراءه.[1] أجل، فكأن جميع الأنبياء وفي مقدمتهم النبي إبراهيم عليه السلام ونوح عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام كانوا يريدون أن يكونوا مؤذِّنين عنده. يقول عيسى عليه السلام في الإنجيل: [إنني ذاهب لكي يأتي سيد الزمان.] (يوحنا-الباب: ١٦، الآية: ٨)، أي كان يلفت أنظار الإنسانية إلى هذا النبي العظيم.

أجل، فعندما عرج إلى السماء امتلأت حجور السموات باللآئي والجواهر، وفُرشت النجوم تحت قدميه كأحجار الرصيف.. وعندما وصل إلى أفق الشمس تمنّت الشمس أن تكون جوهرة على تاجه.. كل هذه الموجودات كانت تطوف وتدور حول نبوته.

ثم إنه كان يمثل الصفات الإنسانية في ذروتها ليكون قدوة وأسوة حسنة لنا. فمثلاً كان رئيس عائلة مثالي، وفي ذلك البيت حيث كان إكسير النبوة يتقطر فيه قطرة قطرة، لو توزّع كل ولد من أولاده الناشئين فيه على العصور، لنشأ منهم مجتهدون ومجددون ينير كل منهم عصره. ولا أدري كم من الناس نجح في معرفته من هذه الزاوية.

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري، ٥/١٥؛ البداية والنهاية لابن كثير، ١٣٩/٣.

كان في الوقت نفسه قائداً عسكريًّا لا يشق له غبار. فبواسطة نفر من أصحابه الذين تحلّقوا حوله كما تتحلق الهالة حول القمر أهوى عروشاً لسلاطين جبابرة كانوا قد أعلنوا الحرب على العالم بأسره، ودخل ملوك عظام في إسار حبه.. إسار لا يريد الفكاك عنه، مع أنه إن أخذنا بظاهر الحال فإنه لم يدرس علم الحرب وفنونها، ولم يتعلمها من أحد.

ثم إنه الشخص الذي تنتهي عنده العلوم. فكأنه جالس أمام شاشة يشاهد جميع الحوادث حتى يوم القيامة، ثم يخبر عنها.[1] ومع أن عصوراً عديدة مرت منذ ارتحاله إلى دار البقاء، ففي المحطة الأخيرة التي وصلت إليها البحوث والتقنية المعاصرة بكل إمكانياتها الهائلة، نرى الراية التي ثبتها رسول الله ﷺ قبل أربعة عشر قرناً ترفرف في السماء، ونرى الذين هداهم الله ﷻ ينطقون بالشهادتين، ويكوّنون حلقة من الحلقات المضيئة لقافلة الإسلام. إليكم مثالاً واحداً من أمثلة لا تعد ولا تحصى:

ففي شريط فيديو شاهدتُ البروفسور الكندي "كيث مور" أستاذ التشريح في كلية الطب في جامعة تورونتو والمتخصص في علم الأجنة وهو ينبهر بما ورد في القرآن الكريم حول مراحل نموّ الجنين في بطن أمه، هذه المراحل التي لم يكن في الإمكان اكتشافها إلا بعد التطور التكنولوجي الحالي.

كما شاهدتُ عالماً فيزيولوجيًّا يابانيًّا وهو يتلفظ بكلمة الشهادة بصعوبة، ودخل بكل اطمئنان ورضا إلى صفوف المسلمين بعدما رأى وسمع الآيات القرآنية المتعلقة بساحة اختصاصه.

أجل، فكما هو ظاهر فالقرآن الكريم يفتح المنافذ أمام العلم كلما انسدّت السبل أمامه، وإن نقطة النهاية للعلم هي نقطة البداية عند رسول الله ﷺ، ولكن من علّمه كل هذا؟ لقد أخذ درسه من الله "العليم" "الخبير". فوراء هذه المعارف هناك المعلم الأزلي، ومن ثم فإن المعارف التي استقاها لم تتعرض للقِدم والبِلى، بل اكتسبت شباباً وحيوية ونضارة كلما تعاقبت عليها العصور، وستتجدد على الدوام ما دامت السموات والأرض.

ثم إنه ﷺ كان محبوباً من أصحابه وأصدقائه حبّاً لم يكن من نصيب أحد. فمثلاً عندما أحضر الكفار الصحابي خُبيب بن عدي ﷺ بعدما أسروه عقب غزوة "ماء الرجيع" سألوه قبل إعدامه: "أتشتهي أن يكون محمد مكانك وتكون أنت آمناً في بيتك؟" فأجابهم: "لا والله، لا أحب أن يشاك شوكة في قدمه وأنا في موضعي هذا." وبعد هذه الإجابة الشجاعة رفع يديه

[1] انظر: البخاري، القدر ٤؛ مسلم، الفتن ٢٢-٢٥؛ أبو داود، الفتن ١؛ المسند للإمام أحمد، ٤/١؛ ٣٨٦/٥.

ودعا قائلاً: "اللّهم إنا قد بلّغنا رسالة رسولك فبلّغه الغداة ما يُصنع بنا" ثم دعا على الكفار: "اللّهم أحصهم عدداً، واقتلهم بَدَداً ولا تغادر منهم أحداً." ثم قتلوه رحمه الله.[١]

وقد تلقى الرسول ﷺ هذا السلام، وأبلغ أصحابه باستشهاد خُبيب وهو في غاية التأثر، إذ يروي موسى بن عُقْبة أن خُبيباً وزيد بن الدَّثِنَة ﷺ قُتلا في يوم واحد، وأن رسول الله ﷺ سُمع يوم قُتلا وهو يقول: «وعليكما -أو عليك- السلام، خُبيب قتلته قريش.»[٢]

وهاكمْ مشهداً آخر يشرح قلب كل مؤمن رغم مرور الدهور وتعاقب العصور:

عندما سمعتْ الصحابية سُميراء في معركة أُحد أن رسول الله قد استشهد، أسرعت إلى سفح جبل أُحد، وهناك أرؤها جثث أبيها وزوجها وأولادها، ولكنها لم تلق بالاً لذلك، بل كانت تبحث عن رسول الله، وتسأل على الدوام: "ما فعل رسول الله؟" وعندما أشاروا لها أخيراً إلى مكان رسول الله هرعت إليه، وألقت بنفسها على الأرض أمامه قائلة: "كل مصيبة بعدك جَلَل![٣]"[٤] إذن، فهكذا تَربّع حب رسول الله في القلوب والصدور.

وإليكم مثالاً آخر يظهر مدى حب الصحابة للنبي ﷺ:

كان رسول الله وفخر العالمين قد أبلغ بقرب رحيله إلى الرفيق الأعلى، فكأنه استلم دعوة من وراء السموات بذلك.. إذن، فقد حان وقت فراقه عن أحبائه وأصحابه الذين جاهدوا معه طوال ثلاث وعشرين سنة، لذا كان يخرج للقاء أصحابه حزيناً في أيامه الأخيرة. وكان الصحابة يتأثرون من حاله هذه ويحزنون، وصدورهم تمور بالحزن والأسى كلما رأوا رسول الله ﷺ يدخل بيته. وكان رسول الله ﷺ قد أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن ليبلّغ رسائل النبي ﷺ وأوامره وتعليماته، وعندما يرجع من اليمن يعرض على رسول الله ما رآه من أمور وأحداث وما قابله من مشاكل. وقبل سفره الأخير ذهب إلى رسول الله ليدعو له قبل التوجه إلى اليمن، ولكنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول له: «يا معاذ! إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري.»[٥] فكأن صاعقة نزلت على رأس معاذ.. شعر كأنه طير قد قُصّ جناحاه.. وانهمرت الدموع من عينيه.

---

[١] البخاري، المغازي ١٠؛ المسند للإمام أحمد، ٢٩٤/٢؛ السيرة النبوية لابن هشام، ١٨٢/٣.

[٢] البداية والنهاية لابن كثير، ٧٦/٤؛ حياة الصحابة للكاندهلوي، ٥٢٤/١-٥٢٥.

[٣] معنى جلل هنا: هين أو صغير. (المترجم)

[٤] مجمع الزوائد للهيثمي، ١١٥/٦؛ البداية والنهاية لابن كثير، ٥٤/٤.

[٥] المسند للإمام أحمد، ٢٣٥/٥.

وكان ﷺ يحل أعقد المشاكل الاجتماعية بكل بساطة وسهولة، وبعده بثلاثة عشر قرناً أشار "جورج بِرنار شو" إلى هذه الحقيقة قائلاً: "ما أحوج عصرنا إلى شخص مثل محمد ﷺ، يحل له مشاكله ريثما يشرب فنجاناً من القهوة." وهذا هو المهم، فالفضل ما شهدت به الأعداء.

أجل، إن البشرية حينما تتوجه إليه تشعر بالأمن والطمأنينة، وتصل إلى الآفاق النيّرة المضيئة، وتتخلص من السفالة والسفاهة، ولا تكون أُلعوبة بيد الأيام، بل تتخلص من الخسران في الدنيا وفي الآخرة، وترتفع وتسمو إلى المرتبة اللائقة بالإنسانية. والحقيقة أنه بالرغم من كل القوى المعادية، ومن كل الموانع والعقبات، فإن جميع المؤشرات والأمارات تومئ إلى بداية البعث والنهوض من جديد مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصفّ:٨-٩).

أجل، إن الله سيظهر دينه، ويتم نوره، وستهرع إليه القلوب والنفوس الظامئة لكي تجد الأمن والطمأنينة في رحابه، فتعيش سعادة أهل الجنة في الدنيا؛ وسيأتي اليوم الذي تنفتح جميع القلوب وجميع الضمائر وجميع النفوس لمحبة خاتم الأنبياء وسلطان الأولياء الذي نعلن اسمه خمس مرات على الملأ كل يوم.

وكان أيضاً مبعثاً للطمأنينة، فنحن نؤمن إيماناً راسخاً لا شك فيه بأن الرسالة التي جاء بها منبع للأمن والطمأنينة.. والتاريخ هو أكبر شاهد على ما نقول. ولكي تذوق الإنسانية هذه الطمأنينة مرة أخرى، فليس هناك إلا حل واحد أمامها، وهو أن تهتدي بالنور الذي أتى به الرسول ﷺ، إذ كلما ازداد الإنسان معرفة به ازداد حبًّا له.. وبهذه المحبة سيتغير وجه المجتمع.[1]

في هذه "المقدمة" التي كان القدماء يعبرون عنها بـ "الديباجة" حاولت مستنداً إلى عون الله تعالى وكرمه وإحسانه أن أشير باختصار، وعلى نمط الفهارس إلى جوانب عظمة فخر الكائنات، وسيد الدنيا والآخرة.

كل كلام في مدحه جميل، فإن وجدتم شيئا نابيا، فمني ومن أسلوبي، أما ما يتعلق بفخر الكائنات فكله مشرق وجميل.

---

[1] جاء في الحديث: من خالطه معرفةً أحبه. الترمذي، المناقب ٨.